المصادر الدينية لمفهوم الحرب العادلة عند فلاسفة المسيحية

ياسمين رياض خله جندي (*)

ـ مقدمة.

في مستهل حديثنا يجدر بنا الإشارة إلى ما يقوله البعض بأن هناك مصدرين للحرب العادلة، أحدهما المصدر الفلسفي والآخر المصدر الديني، وفي بحثنا هذا نتحدث عن المصدر الديني خاصة في العصور الوسطى التي تم فيها الرجوع إلى الدين المسيحي خاصة كمصدر مهم من مصادر الحرب العادلة. وهناك نوعان من الحرب مسموح بهما في الفكر المسيحي: الحرب المقدسة والحرب العادلة[١]. والحرب العادلة ليست متطابقة دائمًا مع الحرب المقدسة[٢]، لأن الحرب المقدسة هي بشكل أو بآخر حرب عادلة، لكن الحرب العادلة ليست بالضرورة حربًا مقدسة[٣]. ولذلك ففي الجهاد المقدس تكون المشاركة المسيحية واجبًا ملزمًا، بينما في الحرب العادلة تكون مسموحًا بها على نحو مُقيّد وليست واجبة[٤]. حيث يوجد تقليد الحرب المقدسة في الكتاب المقدس العبري مع الإيمان بالله باعتباره المحارب الإلهي، والمعبر عنه في سفر الخروج: (الرَّبُّ رَجُلُ الْحَرْبِ) (١٥: ٣)[٥].

إن الحروب التي أمر بها الله هي حروب مقدسة، أم الثانية فهي تتطلب موافقة السنهدريم أو المجلس الحاكم للحروب الإلزامية، والحروب المقدسة هي بطبيعتها عادلة لأنها تجسد إرادة الله، فتصبح هذه الحروب جريئة بشكل متزايد مع الإطاحة بدولة المكابين. ولم يذهب الفكر الحاخامي أبعد من ذلك فهناك مساهمات كبيرة في تطوير أيديولوجية الحرب العادلة، وذلك من خلال العهد القديم ومفهوم القوانين الحاكمة التي أنبتت بذور الحرب في الفكر المسيحي. (انظر سفر التثنية

(*) بحث مستل من رسالة الماجستير الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: أصول نظرية الحرب العادلة عند فلاسفة العصور الوسطى المسيحية (نماذج مختارة)، تحت إشراف: أ. د/ محمود السيد مراد، أستاذ الفلسفة اليونانية ووكيل كلية الآداب لشئون التعليم والطلاب- جامعة سوهاج. أ. م. د/ حمدي عبد الحميد محمد محمد، أستاذ الفلسفة السياسية المساعد بكلية الآداب- جامعة سوهاج

1- Keith J. Gomes: **An Intellectual Genealogy of the Just War, A Survey of Christian Political Thought on the Justification of Warfare**, **Small Wars Journal**, available at: www.smallwarsjournal.com, P. 3.

2- Charles H. Whittier: **The Just War in Certain Religious Tradition: Christianity, Judaism, Islam, And Buddhism**, Congressional Research Service, Library of Congress, 1987, PP. 5-6.

3- Keith J. Gomes, loc. Cit.

4- Ibid.

5- Ibid, PP. 5-6.

٢٠:١-٢١)[1]. وربما استلهم فلاسفة وقديسو العصور الوسطى أفكارهم ومبادئهم الأولى عن الحرب العادلة من خلال الكتاب المقدس ولاسيما عهده القديم، وفيما يلي سنعرض لأهم الأفكار في الكتاب المقدس التي ربما تتشابه مبادئها مع ما نسميه اليوم الحرب العادلة.

أما عن أهمية الدراسة البحث فتَرْجِعُ إلى قلة الأبحاث العربية حول هذا الموضوع رغم أهميته، بالإضافة إلى أن هذا الموضوع يُعَدُّ من الموضوعات الشائكة والمثيرة للجدل نظرًا لاقتران الدراسة الفلسفية فيه بالدين بصفة عامة، وبالدين المسيحي بصفة خاصة، وتشعبها في العديد من النواحي السياسية والدولية بصفة أخص.

وتدور **إشكالية البحث** حول تساؤل رئيس يتمثل في: **كيف أرسى الكتاب المقدس كنصّ ديني الأساس الذي تقوم عليه الحرب العادلة عند بعض فلاسفة العصور الوسطي المسيحية؟**

أولًا: فكرة الحرب العادلة في العهد القديم:

كثيرًا ما يُتَهم العهد القديم بأنه ملئ بالحروب والعنف والدماء، كذلك إله العهد القديم بأنه إله دموي عنيف، مع وجود أدلة وآيات من الكتاب المقدس تعارض ذلك، والآن دعنا نتناول بالعرض والشرح والتحليل لبعض هذه الشواهد.

١-هل إله العهد القديم إله يطلب ذبائح بشرية؟

كما ورد في تك(٢٢ :١،٢)، قصة طلب الله من إبراهيم تقدمة ابنه إسحق ذبيحة، وللإجابة عن هذا السؤال يجب معرفة أن إبراهيم كان يعيش في وسط مجتمع بربري، ففي بلاد ما بين النهرين وسورية وكذلك الكنعانيون كانوا يقدمون أولادهم البكر للإله (مولك) مثل ملك موآب قدم ابنه ذبيحة بشرية لاسترضاء الإله كموش وليصنع خلاصًا من يد ملك اسرائيل وملك يهوذا وملك آدوم (٢مل ٣:٢٧). فأي دارس للعهد القديم يعرف أن الله يرفض الذبائح البشرية ويدين بشدة من يفعل ذلك كما قال للشعب: في مواضع كثيرة مثل لاويين (٢٧: ٢٨-٢٩)، وتثنية (١٢: ٢٩- ٣٢). و(مَتَى دَخَلْتَ الأَرْضَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، لاَ تَتَعَلَّمْ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ رِجْسِ أُولئِكَ الأُمَمِ) (تث ١٨: ٩-١٠)، وفي الخروج (١٣: ١١-١٥)، وكرر الوصية مرة أخرى في الخروج (٣٤: ١٩-٢٠) وغيرها[2].

فالله يعلن للوثنيين قلب إبراهيم المحب لله، واستعداده أن يقدم أثمن ما لديه، وفي نفس الوقت إذ قدم الله كبشًا عوض إسحق أعلن عدم قبوله الذبائح البشرية، وأراد الله بطلبه هذا من البداية إظهار عظمة إيمان إبراهيم وأفكاره الخفية

[1] -Ibid, P. 8.

[٢]- عزت شاكر: **إله العهد القديم إله الدماء**، دار الثقافة، القاهرة، ٢٠١٢، ص ص. ١٥٩-١٦٠.

من جهة إيمانه بالقيامة لأول مرة كما ذكر في (عب ١١: ١٧-١٩) وكذلك عظمة طاعة إسحق، وكان الله يعلم كل ما سيحدث لكن كانت التجربة لكي يُذكّيه أمام الكل ويُعلن إيمانه الرائع الخفي كما ذكر القديس أوغسطين[١].

وقد يتساءل البعض: هل عليه أن يرى أمرًا إلهيًا في مقتل ابنة يفتاح المسرعة إلى لقاء أبيها الذي أقسم بأن يذبح لله أول ما يقع عليه نظره لدي عودته من المعركة منتصرًا؟! (القضاة ١١: ٣٠- ٣٢)[٢] . فيقول القديس أمبروسيوس: "كان نذرًا قاسيًا، لكن تحقيقه كان أكثر مرارة، إذ تمّمه دخل في علة شديدة للحزن.... إنه من الأفضل ألا تنذر من أن تنذر مالا يرغب الله في تقديمه"، كان نذرًا- في رأي كثير من الآباء- لا يحمل شيئًا من الحكمة، وقد سمح الله بذلك حتى يتلقن يفتاح وكل المؤمنين درسًا فلا يتكرر هذا الحدث مرة أخرى عبر الأجيال". ويرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن الله لم يوقف تقديم هذه الذبيحة كما في حالة إسحق وإبراهيم بالرغم من عدم قبوله الذبائح البشرية، لكي تكون درسًا للبشرية فلا يتسرع أحد بتقديم نذر بقسم لئلا يفقدون أولادهم.[٣]

٢- هل هو إله يُعلّم شعبه السلب والنهب؟

كما يذكر في الخروج: (بَلْ تَطْلُبُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ جَارَتِهَا وَمِنْ نَزِيلَةِ بَيْتِهَا أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ وَثِيَابًا، وَتَضَعُونَهَا عَلَى بَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ. فَتَسْلِبُونَ الْمِصْرِيِّينَ) (٣: ١٩-٢٢). والسؤال هنا هل إله العهد القديم إله شرير؟[٤] وللإجابة عن هذا السؤال وجب علينا أن نتحدث عن:

١-**عدل الله**: في هذا الموقف يظهر عدل الله وليس ظُلمه، فحين ظلم المصريون بني اسرائيل وسخروهم سنين طويلة كما جاء في الخروج: (فَجَعَلُوا عَلَيْهِمْ رُؤَسَاءَ تَسْخِيرٍ لِكَيْ يُذِلُّوهُمْ بِأَثْقَالِهِمْ) (١: ١١). لكن الله قاضي عادل ساهر لإجراء العدل كان قد قال لأبرام حين قطع العهد معه: (اعْلَمْ يَقِينًا أَنَّ نَسْلَكَ سَيَكُونُ غَرِيبًا فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ، وَيُسْتَعْبَدُونَ لَهُمْ .فَيُذِلُّونَهُمْ أَرْبَعَ مِئَةِ سَنَةٍ) (التكوين ١٥: ١٣). فكما ذكر فرنسيس دافدسن أن كل ما أخذوه لم يكن إلا أجرة عادلة لما قاموا به من أعمال السخرة. ويقول العلامة ترتليانوس: "إن الله يأمرنا بألا نَكُمْ ثورًا دارسًا فهل يترك هؤلاء محرومين من أجرة عملهم؟!"

---

[١]-المرجع السابق، ص. ٧٥-٧٧.

[٢]- أوغسطين: **مدينة الله**، المجلد الأول، ترجمة: الخور أسقف يوحنا الحلو، سلسلة التراث الروحي، دار المشرق، بيروت، ط.٢، ٢٠٠٦، ص. ٤١.

[٣]- القمص تادرس يعقوب ملطي: تفسير الكتاب المقدس، سفر القضاة، الإصحاح ١١، موقع تكلا هيمانوت.

[٤]- علاء أبو بكر: **البهريز في الكلام الذي يغيظ**، الجزء الأول، فبراير، ٢٠١٢، ص. ٢٧.

٢- **سلطان الله**: خروج بني اسرائيل ونصرهم على المصريين يُعَدُّ نصرًا كبيرًا لبني اسرائيل بل وللرب أيضًا على فرعون الذي كان يمثل ذروة القوي البشرية التي تتحدي الله وشعبه لذلك كان سقوطه يعلن للعالم كله استحالة الوقوف أمام وجه الله الحي[١]. كما دافع أوغسطين بدوره عن موسى لنهب المصريين وحروب بني اسرائيل[٢]**.**هكذا يبرر حروب العهد القديم بأنها حروب إلهية حاولت استعادة العدل ومعاقبة الشر[٣]، كما ذكر في مواضع أخري مثل (يش٨: ٢٧) و (تث٣: ٧)، فهؤلاء مثل المجرم الذي تم الحكم عليه بالإعدام وهو غني وليس له وريث حينئذ ترثه الدولة كحق شرعي، وبنو اسرائيل كانوا يمثلون الدولة حينذاك فلذلك آلت إليهم ممتلكات هذه الشعوب، لذا لم تكن من قبيل السلب ولا النهب[٤]

٣- هل هو إله منتقم جبار قاسي القلب؟

يتفرع من هذا السؤال عدة أسئلة مثل: ما ذنب شعب مصر في الضربات العشر إن كان فرعون يستحقها؟ ولماذا لم يوجه الله الضربات إلى فرعون وحده؟ ولماذا كل هذه الضربات ؟ ألا يكفي أربع أو خمس ضربات؟ وما ذنب الأبكار الذين ماتوا؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة يجب علينا أن نتذكر عدة حقائق هامة منها:

١- الملك هو المسئول الأول عن حماية شعبه، والشعب دائمًا يتحمل نتائج قرارات قائده، وفرعون صاحب المسئولية هنا.

٢- إن شعب بني إسرائيل تعرضوا لعبودية قاسية في الطين والبناء وسخروهم وأزلوهم بأثقال كثيرة كما ورد في سفر الخروج (١: ١٣-١٤).

٣- كما فقد شعب إسرائيل أبنائهم على يد المصريين كما ورد في خروج (١: ٥، ٢٩: ١٢)، فكان لابد للمصريين أن يعيشوا هذه المحنة.

٤- لم يكن هدف الضربات إجراء العدل والقصاص فقط، بل كان أيضًا أن يعرف فرعون وشعب مصر الإله الحقيقي الذي لا إله إلا هو، صاحب السلطان على كل شيء[٥].

٥- من أهم الحقائق الكتابية أيضًا هو أن هذه الضربات كانت موجهة لآلهة المصريين وليس للمصريين فقط، ولنشرح هذه النقطة كالآتي :

---

[١]- عزت شاكر، مرجع سابق، ص ص. ١٠٧-١٠٨.

[2]- John Langan: "**The Elements of St Augustine's Just War Theory**", *Journal of Religious Ethics*, Vol. 12, No. 1, 1984, P. 19.

[3].- Malene H. Kjaer :**The Condition For Just War According to St. Thomas Aquinas**, op. cit., P. 3.

[٤]- مدارس النقد والتشكيك والرد عليها(الجزء الثامن)، يشوع- قضاة-راعوث، كنيسة القديسين، الاسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، ص١٤٨.

[٥]- عزت شاكر، مرجع سابق، ص. ١٢٣.

الضربة الأولي: تحويل الماء دمًا (خروج ٧: ١٥-٢٥).

جاء في كتاب السنن القويم عن المصريين أن النيل من أهم وأول آلهتهم، (حابي أو هابي) وأنهم كانوا يتغذون علي أسماكه، فتحيّر المصريون عندما رأوا معبودهم قد أنتن، فما قيمة إله يفسد![١].

الضربة الثانية: ضربة الضفادع (خروج ٨: ١-١٥).

من بين الآلهة التي كان المصريون يعبدونها الإلهة الضفدعة "هكست" وزوجها "خنوم"العظيم، ويقول: ف.ب ماير: "اكتظت الأرض بالضفادع فجأة وكان من المستحيل أن يسير المرء خطوة دون أن يسحق بقدميه عشرات منها والتي كانت رمز آلهة الإخصاب، ولذلك كان محرمًا إبادتها"[٢].

الضربة الثالثة: ضربة البعوض (خروج ٨: ١٦-١٩).

وجهت هذه الضربة إلى أمحتب المقدس "إله الطب"وكان عبارة عن صنم له رأس ذبابة كبيرة، ذات اللسعة المؤلمة، حتى أن العرافيين قالوا لفرعون"هذا إصبع الله". (خروج ٨: ١٩)[٣].

الضربة الرابعة: ضربة الذباب (خروج ٨: ٢٠-٣٢).

وقد كانت هذه الضربة موجهة إلى بعل ذبوب إله الذباب واسمه الأصلي بعل زبول أي رب الحياة، فكانوا يعبدونه ليمنع الذباب عنهم ولكي يحميهم من المرض والموت فكان له شكل ذبابة ذات رأس كبير وحينما أصابته الضربة تَبيّن عجزه عن حمايتهم.

الضربة الخامسة: موت المواشي (خروج ٩: ١-٧).

كانت ضربة موجهة لبعض الحيوانات المقدسة عندهم ولاسيما "أبيس" العجل، و"حتحور" البقرة المقدسة، و"خنوم" الكبش، وغيرها فكيف يعبدون الآلهة بعد أن يرونها جثثًا.

الضربة السادسة: الدمامل (خروج ٩: ٨-١٢).

لقد أصابت هذه الضربة عددًا كبيرًا من آلهة المصريين وخاصة آلهة الطب والشفاء التي عبدوها وقدموا لها الذبائح وكانوا يذرون رمادها في الهواء لكي تحمل لهم هذه الذرات البركات فنبعت هذه الضربة من رماد أتون ذبائحهم حينما أخذ موسى حفنة رماد وذراها لأعلى فانتشرت الدمامل بين البهائم والناس.

الضربة السابعة: ضربة البَرَدْ (خروج ٩: ١٣-٣٥).

كانت هذه الضربة موجهة لإلهة الطقس "نوت" وضد الإله "رشبوا "إله العواصف والرياح وكانت آثارها مدمرة فأثبتت عجز الآلة عن ضبط الجو وحفظ

---

[١]- مدارس النقد والتشكيك والرد عليها(الجزء السادس)، الخروج- اللاويين، (أسئلة على الطريق)، كنيسة القديسين، الاسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩، ص١٣٥ .

[٢]-المرجع السابق، ص ١٣٥، ١٣٦.

[٣]- عزت شاكر، مرجع سابق ص. ١٢٣-١٢٤.

الطبيعة والزرع من الدمار خاصة أنها حدثت في أوائل العام الزراعي كما ورد في (خروج ٩: ٣١ -٣٢).

الضربة الثامنة: ضربة الجراد (خروج ١٠: ١-٢٠).

كانت هذه الضربة موجهة إلى إلهين: الإلهة "إيزيس" التي كان المصريون يعتبرونها حامية البلاد من الجراد وكذلك "الريح "أحد آلهة المصريين فجعل الله الريح هو الذي يحمل الجراد.

الضربة التاسعة: ضربة الظلام (خروج ١٠: ٢١-٢٩).

لقد كانت موجهة ضد الإله "نوت" إله السماء الذي رتب الكواكب في أبراجها والإلهة "سخمت" إلهة النار والضوء المقدس وإلي الشمس التي كانت أعظم آلهة المصريين وكانت تُعْبَد على أنها الإله الأعلى "رع" والذي اشتق منه اسم ملك مصر" فرعون "، وقد وصف الشاعر اليوناني "أورفيوس" هذه الضربة في إحدى قصائده قائلًا:" فغشيتهم حينئذ ظُلمة كئيبة تكاد تُلْمَس ولم تقدر آلهتهم على كشفها وفضلًا عن ذلك كانوا يتعذبون بالجسد حين رأوا النور في جميع منازل الإسرائيليين.

الضربة العاشرة: موت الأبكار (خروج ١١: ٤-١٢:٣٣).

كان الملك نفسه يُعتبر إلهًا عند المصريين فقد كان المصريون ينظرون إلى فرعون وإيزيس وأزوريس على أنهم الآلهة واهبة الحياة لذلك كانت هذه الضربة القاضية لكي يبرهن الله على عجز وضعف آلهة المصريين وعدم نفعها فلم تستطع أن تحميهم، ولا تحمي أولادهم ولا حتى أن تحمي نفسها(١). وفي الكتاب المقدس العبري أمر الله بشن الحرب هنا من خلال موسى القائد الديني لا لتدمير الأعداء فقط ولكن من أجل تأديبهم[٢].

٤- هل هو إله دموي؟ هل هو فعلًا إله حروب وسفك دماء ولا يعرف الرأفة ولا الرحمة؟

فقد ذكر في (١صم١٥-٣)"اذهب واضرب عماليق، بل اقتل رجلًا وامرأة، طفلًا ورضيعًا بقرًا وغنمًا، جملًا وحمارًا". فلماذا قتل جميع العماليق في صموئيل الاول؟ (١صم١٥-٣)[٣]، لقد أمر بقتل وسحق كل أحد من أهل مدينة العماليق، وحتي لا يستثني منهم أحدًا أمره بقتل الرضع والأطفال والنساء بل وحتي الحيوان[٤].

---

[١]- المرجع السابق، ص. ١٢٤-١٢٦.

[2]- Keith J. Gomes: **An Intellectual Genealogy of the Just War…**, op. cit., P. 4.

[٣]-علاء أبو بكر: مرجع سابق، ص٢٧.

[٤]-منقذ بن محمود السقار: **هل العهد القديم كلمة الله؟**، دار الإسلام للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧، ص ٥٧.

للإجابة عن هذه التساؤلات يجب علينا معرفة من هو عماليق؟ وما الذي فعله؟ ولماذا لم يسامحه الله؟

بادئ الأمر علينا أن نعرف أن عماليق هو اسم سامي يعني" المحارب "أو"ساكن الوادي" فهم شعب بَدو رُحَّل يتجولون في المنطقة ما بين شمالي سيناء والنقب جنوبي كنعان، كما مد العمالقة نفوذهم شمالًا في فلسطين، ويقول الكتاب في صموئيل الأول (٣٠ :١-٢)" قد غزوا الجنوب وصقلع"، فطلب الله من شاول الملك محاربتهم للأسباب الآتية:

أ -لأن الله قاضٍ عادل: فقد كانوا يريدون تدمير بني إسرائيل تدميرًا كاملًا فنقرأ:" وأتي عماليقُ وحارب إسرائيل في رافديم" (خروج ١٨:١٧)، ذكر أيضًا في سفر التثنية (١٧:٢٥-١٩) أنهم قتلوا الضعفاء من شعب بني إسرائيل والعجزة والمرضي والمسنين والأمهات والمرضعات وأطفالهن ولم يخافوا الله، ولم يهدأ الشعب العماليقي بل استمروا في مسلسل الاعتداء على الشعب الإسرائيلي محاولين القضاء عليه فتحالفوا مع الكنعانيين لتدمير إسرائيل كما ذكر في سفر العدد (١٤: ٤٥)، ولم يتراجعوا عن حبهم للقتل وسفك الدماء كما ذكر في قضاة (٣: ١٢-١٤).

ب-لأن الله رحيم: فقد صبر عليهم وأعطاهم فرصة للتوبة مدة طويلة تصل ل ٤ قرون لم يتوقفوا فيها عن الاعتداء على شعب إسرائيل بدون سبب، فلم يرتدعوا بل على العكس شنوا حروبًا أخرى بالتعاون مع الشعوب المجاورة على الشعب العبراني للقضاء عليه.

ج- ولأن الله كامل القداسة كامل العدل: فكان قضاء الله ما هو إلا النتيجة الطبيعية لأفعالهم الشريرة، فالله لا يطيق الشر ويريد أن يكون معروفًا لكل العالم بذلك لأنه مختلف عن كل الآلهة بكراهيته للخطية، وعقابه للعماليق ليس فقط لهذه الأسباب، لكن أيضًا لأن شعب العماليق كان ينشر الخطية والشر في الشعوب المجاورة له، وأصبح عثرة لبقية الشعوب وبالتالي لبني إسرائيل.[١]

٥- هل إله اليهود هو إله عنصري يقف إلى جوار بني إسرائيل ضد كل الشعوب الأخرى؟

بدايةً تعبير " إله اليهود " تعبير غير دقيق لأنه لا يوجد جمع من الآلهة ، كل إله لهه شعب معين أو دين معين، فهذا هو الشرك عينه[٢]، لكن يرى البعض أنه إله متحيز ومصمم على أن يكون لليهود وضعًا متميزًا عن جميع الشعوب، فيقول الأستاذ طلعت رضوان: "إن هذا الإله المنحاز لشعبه المختار لايكتفي بطرد السكان الأصليين من أجل عيون بني إسرائيل، وإنما يحذرهم قائلًا:"تطردون كل سكان

[١]- عزت شاكر، مرجع سابق، ص. ٢١٩-٢٢٣.

[٢]- مدارس النقد والتشكيك والرد عليها(الجزء السابع)، عدد- تثنية، (أسئلة على الطريق)، كنيسة القديسين، الاسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠١٠، ص٢٧٧.

الأرض، وإن لم تفعلوا فيكون أني أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم."كما في (سفر العدد ٣٣: ٥١-٥٦).

وللإجابة عن هذا بكل تأكيد أقول: أنه مما لا شك فيه ليس لدي الله محاباة، فهو لا يميز بين شخص وآخر ولا بين شعب وآخر، وذلك للأسباب الآتية:

- كل إنسان له مكانة خاصة عند الله ومحبة كبيرة: مهما كان لونه أو جنسه أو معتقده وذلك لأن كل إنسان هو صنعة يد الله ومخلوق على صورته(تك١:٢٧)، فالله يسمع صوت وصلاة كل إنسان كما ورد في" كذلك الأجنبي الذي ليس هو من شعب إسرائيل، فأسمع صلاته ليعلم كل شعوب الأرض اسمك."(٢أخ:٢٩-٣٣).
- كان الله يعاقب إسرائيل على شرورهم، كما ورد في (خر٣٢ :٩_ ١٠)،"فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ.." (عد٢٥ :١-٩)، أيضًا في (١صم٤: ١- ٣، ١٠- ١١)، وحينما عبدوا آلهة أخرى سمح الله للشعوب المحيطة بهم بأن يستعبدوهم ويذلوهم في (قض٢: ١١- ١٥،٦: ١-٤)، كذلك أسلمهم الله للسبي الأشوري في (٢مل١٧: ٥،٦)، والسبي البابلي لمدة سبعين عامًا.
- الله العادل كان ينقذ الأمم الأخرى كما أنقذ إسرائيل: كما جاء في (عا٩: ٧)، وفي "أفلا أشف أنا على نينوي المدينة العظيمة التي يوجد فيها أكثر من اثنتي عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم(يون ١٠: ٤ -١١)، هذه الشعوب التي قال الله عنها: "«لأَنَّهُ قَدْ صَعِدَ شَرُّهُمْ أَمَامِي»." ومع ذلك أرسل الله لهم نبيّه ليفتقدهم بالتوبة ويحذرهم من الهلاك كما جاء: "«قُمِ اذْهَبْ إِلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ وَنَادِ عَلَيْهَا»." (يون ١: ٢)، وبالفعل رحمهم الله بمجرد توبتهم ورجوعهم عن طريق الشر.
- اختار الله إسرائيل من أجل العالم لا لإمتياز فيهم: بل ليشهدوا عنه ويعلنوا اسمه لكل العالم، "وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض" (تك١٢: ٣، ١٨: ١٨، ٢٨: ٣، ٣٥: ١١، ٤٩: ١٠)، "فإن لي كل الأرض" (خر١٩: ٣- ٦)، وغيرها.
- كان الله يريد أن يعلن عن نفسه لكل العالم وذلك من خلال شعب اسرائيل: فقد جعل الله مياه الأردن تقف وعبر كل الشعب،"لكي تعلم جميع شعوب الأرض يد الرب أنها قوية"(يش٤: ٢٣- ٢٤)، "ليعلم كل شعوب الأرض أن الرب هو الله وليس آخر"(١مل٨: ٥٦، ٦٠)، وغيرها.
- كان العهد مشروطًا بإصلاح العالم من خلال ستة شروط، منها عبادة الله (خر٢٠:، ٤، ٥)، (تث ٥: ٧-٩) (خر٢٣: ٢٤)، (خر٣٤: ١٢-١٦)، والثاني الطاعة (تث٣٠: ١٥- ١٨)، (خر٢٣: ٢٠- ٣٣)، (لا٢٦)، (تث٢٨)، (خر١٩: ٣- ٦)، الثالث القداسة (لا١١ :٤٤)، (خر١٩: ٦)، (تث٧ :٦، ٢٦: ١٩،

٢٧: ٩، ١٠)، الرابعة الشهادة له عن أمانته وطبيعته معهم في كل العالم(خر١٩: ٣-٦)، (اش٤٣: ١٠،١١)، (اش٤٤).

- عندما فشل بنو إسرائيل في أداء رسالتهم، وعدم التزامهم بشروط العهد رفضهم الرب: وقال عنهم:"أما إسرائيل فلا يفهم، ارتدوا إلى وراء" (اش١: ٣- ٥)، وشبههم بالزوجة الزانية(إش١) (إر٢: ٢٠، ٣: ٩، ٦: ١٩)(هو١ :٩)،"قد نقض عهدي"(إر١١: ١٠)[١]. إذًا الله لا يعرف المُحاباة وهو ليس إله اسرائيل فقط، بل هو إله كل الشعوب وكل الأرض.

٦- ماذا عن العنف في (تث٢٠: ١- ١٧)، (يش٨: ١- ٢٨) وقتل النساء والأطفال؟

أما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك ميراثًا، فلا تستبق منها نسمة ما، بل تحرمها تحريمًا: الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحوريين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك" (التثنية، ٢٠: ١٦-١٧).

البعض الذي يتحدث عن سفر يشوع على أنه سفر دموي، ويظهر فيه الله على أنه إله دموي يهوي الحروب، لكن هذا لأنهم لا يفهمون الآيات فهمًا صحيحًا، بل ويخرجونها من سياق النص، لكن تتضح الأمور جليًا حينما يظهر التفسير ونقرأ في سفر (اللاويين١٨: ١-٢٤) أن هذه الشعوب لها من العادات الآثمة الكثير والكثير مثل: العلاقات خارج الزواج مثل الزنا، وزنا المحارم، والشذوذ الجنسي (اللواط)، والجنسية البهيمية، بل وأكثر من ذلك "لا تعطي من زرعك للإجازة لمولك "ومولك" هذا إله مصنوع من النحاس وبه تجويف من الداخل بحيث طوقت فيه النار من داخله ويتم إحماء يديه حتى تَحمرّ جدًا من سخونة النار وعلى هاتين اليدين يتم تقديم الأطفال الصغيرة الأقل من سنة كذبيحة وتُشْوى شَيًّا على زراع هذ التمثال، بل من فرط قسوتهم وحتى لا يُسمع صراخ هذه الأطفال يتم ضرب الطبول بأصواتٍ عاليةٍ حتى تعلوا على صوت صراخ الأطفال وكانت هذه بعض من عادات الشعوب الكنعانية، ونفس الوضع كان (كموش) وهو إله من آلهة الفلسطينيين وهو تمثال أيضًا ضخم ومُفرّغ لإنسان يمد زراعيه ليستقبل بهما ذبائح الأطفال[٢] لم يكتفوا بذلك بل كانوا يريدون أيضًا نشر هذه العادات بين بني إسرائيل والشعوب الأخرى وإجبارهم على اعتناق هذه الديانات، تحدث السفر أيضًا عن ممارسة السحر والشعوذة لهذه الشعوب، أما عن ما تم ذكره من عنف ضد النساء والأطفال من الأسري في بعض المواضع في سفر العدد قد تم تفسيره علي أن هؤلاء الأطفال إذا عاشوا سيحيون نفس حياة الفساد كما السابقون عليهم، أو سيتم تقديمهم كذبائح بشرية، وكذلك النساء كان يقدمن أنفسهن ذبيحة لممارسة الزنا أمام

[١]- مرجع سابق، عزت شاكر، ص. ٣٥٥-٣٥٦.

[٢]-سلسلة مبادئ في الحياة الروحية، ٦) كيف أقتني السلام الداخلي ١- سلام المسئولية، اعداد خدام بيت الله للطلبة المغتربين، الطبعة الأولي، ٢٠١٤، ص ٢٥.

آلهة الزنا، وكانت تسمي المرأة "قديشة" أي مُكرّسة لإله الزنا، وقد استملن رجال كثيرين من بني اسرائيل بسبب انحلال أخلاقهن وكن السبب في قتل أعداد كثيرة منهم، أما الأطفال فكانوا يقدمونهم ذبائح للإله مولك، فموتهم خير من حياتهم في مجتمع فاسد يتوارثون فيه نفس الفساد فموتهم تجنبًا لأخطاء حتمية في المستقبل وتحاشيًا لها[١]

كما أنه كانت عندهم الفرصة للتعرف على ذلك الإله القادر على كل شيء، صانع العجائب مع بني إسرائيل من خلال الأخبار التي كانت تصلهم والدليل (راحاب)، التي هي واحدة من هذه الشعوب لكنها تابت وأرادت أن تترك زناها وثنيتها وتؤمن بالله الحي فقالت:" لأننا سمعنا كيف يَبّس الرب بحر سُوف قدامكم..... لأن الرب إلهكم هو الله في السماء وعلي الأرض.(يش٢: ١٠، ١١)، إذن كانت تصلهم الأخبار، وكانت عندهم فرصة للتوبة، لذا حينما آمنت راحاب رغم خطاياها لم تنل العقاب معهم، أما هم فتمادوا في الشر عن عمدٍ وإصرارٍ. فكانت الإبادة الجماعية هي نوع من العقاب الإلهي العادل.

فالله لم يأمر بإبادة الشعوب المصرية القديمة أو العراقية أو البابلية أو الفرعونية المصرية القديمة رغم أنها كانت شعوب وثنية. فلماذا! لأنها شعوب لم يكن لها مثل تلك التجاوزات أو هذه العادات البهيمية ولا عادات الشذوذ ولا تقديم أطفالهم ذبائح، بالإضافة إلى ذلك والأهم أنهم لم يجبروا الشعوب الأخرى على ممارسة عاداتهم أو اتباع دياناتهم كما فعلت الشعوب الكنعانية، وبالرغم أنها شعوب وثنية إلا أنه كان لديها ثقافات خاصة وحضارات راقية بعض الشيء مثل الحضارة البابلية[٢].

ويجدر بنا الإشارة هنا أنه لا توجد نظرية يهودية للحرب (العنف) والسلام، لأن اليهود أنفسهم كانوا عديمي الجنسية وفي المنفي حتى وقت قريب، يكتبون لأنفسهم فقط فيما يتعلق بظروفهم وليس بالإشارة إلى العنف أو أي مجتمع دولي موجود بالفعل، بل على العكس كانوا ضحايا حروب لأوقات كثيرة وبدون دولة وليس عملاء أو منظرين للحرب والعنف[٣].

ومن الجدير بالذكر أن إله العهد القديم العبري هو أيضًا إله ينصح الناس بالمحبة والمغفرة[٤]. ومما يُبَيّن رحمة الله ورأفته أنه في نفس الإصحاح من سفر

---

[١]- مرجع سابق، مدارس النقد والتشكيك والرد عليها(الجزء السابع)، ص١٢٨، ١٢٩.

[٢]- عزت شاكر، مرجع سابق، ص. ٢٤١، ٣٧١.

[3]- Keith J. Gomes: **An Intellectual Genealogy of the Just War…**, op. cit., P. 4.

[4]- Joseph J. Fahey: "**An Overview of Four Traditions on War and Peace in Christian History**", *The Journal of Social Encounters*, Vol. 2, No. 1, 2018, P. 8.

التثنية (تث٢٠: ١٩، ٢٠)"فلا تتلف شجرها"، فهو الإله الذي يفكر في الحفاظ على الطبيعة والبيئة فكيف لا يبالي بخلقة يديه من البشر؟!

وقد وصف العلامة أوريجانوس حروب العهد القديم التي سمح بها الله بأنها ضرورية للممالك اليهودية، ويعتبر العهد القديم له رموز خاصة، وبالتالي يجب على المسيحيين الجدد دراسة الكتب التاريخية للعهد القديم على أساس أن هذه الحروب يجب أن تُفهم على أنها حروب روحية ضد الشيطان وليست للانتقام والتنكيل [١].

فالله في جميع العصور والأزمنة يريد أن جميع الناس يَخْلُصون وإلى معرفة الحق يُقْبِلُون، وهناك الكثير والكثير من الآيات في العهد القديم تثبت أن إله العهد الجديد هو نفسه إله العقد القديم هو إله المحبة والسلام والرحمة ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

أ-أنه ليس فقط يهتم بالبشر بل أيضًا بمخوقاته جميعًا، فقد أوصي بالرفق بالحيوانات حينما كلف نوح ببناء الطوفان (تك٧: ١-٩) فهو يهتم بخليقته كلها وعمل عهد مع الحيوانات الخارجة من الفلك كما كان مع نوح وأولاده، وفي (خر٢٣: ٤)، و(تث٢٢: ١٠)، "لا تَكُمُ ثورًا دارسًا"(تث٢٥: ٤)، وبالشجر في (تث٢٠: ١٩، ٢٠) ".

ب- في قصة يونان، واهتمامه بأهل مدينة نينوى، والحثّ على توبتهم (سفر يونان).

ج- يحذرنا حتى من الغضب (مز٣٧: ٨)،(جا٧: ٩).

د-يحذرنا من المحابلة (لاو١٩: ١٥)، (تث١: ١٧).

ه- بل يعلمنا محبة العدو(أم٢٤: ١٩)، (أم٢٥: ٢١).

و- يطالبنا بالرحمة والحق،" إني أريد رحمة لاذبيحة"(هو٦: ٦).

وغيرها في مواضع كثيرة.

ولكن كما أن الله هو الرحيم الغفور فهو كذلك الحكم العدل وحيثما لا توجد توبة تأتي الدينونة ويأتي عقاب الله. حين نتعهد بشن حروب ضد عنف المقاومين لمعاقبتهم، فهذه الأمور تتفق مع الناموس وتعرف على أنها حروب عادلة حروب من النوع العقابي[٢].وحينما يحدث حادث في الدولة نحن نطالب بالقصاص والعدل ومعاقبة الجناة، فحينما تتخذ الدولة الإجراءات اللازمة وتعاقب هؤلاء الجناة، هنا يكون العدل، فهل ننعت هذه الدولة بأنها دولة عنيفة وغير عادلة أم هي دولة عادلة تطبق القانون؟! هكذا كان إله العهد القديم- مع فارق التشبيه.

1- Keith J. Gomes: **An Intellectual Genealogy of the Just War…**, Loc.cit.

2.- Malene H. Kjaer :**The Condition For Just War According to St. Thomas Aquinas**, op. cit., P. 4.

وفي الحقيقة إذا نظرنا إلي بعض مظاهر الحروب في العهد القديم سنجدها تتوافق في بعض الأحيان مع مبادئ الحرب العادلة كما تبدو في ظاهرها كالآتي:

- السبب العادل والعدالة النسبية:

على الرغم من أن إسرائيل القديمة خاضت حروبًا من الممكن تصنيفها من منظور حديث بأنها كانت إما هجومية أو دفاعية بطبيعتها، فمن وجهة نظر الإسرائيليين القدماء، كانت حروبهم كلها دفاعًا عن العدل ولقمع الشر.

- النية الحسنة:

كان يُنظر دائمًا إلى إثارة الحروب أو إظهار الشهوة للتوسع الإقليمي كمؤشر على النوع الخاطئ من النية. واليهود لم يفعلوا ذلك[1].

- السلطة المختصة:

كان يُنظر إلى الله على أنه هو الذي يعلن الحرب العادلة، إما من خلال وسيطته الأنبياء أو من خلال وسيلة الملك الذي كان من واجبه التأكد (في بعض الأحيان من خلال التشاور النبوي) من الإرادة الإلهية في هذا الشأن. وكان على الجنود أن يقاتلوا بإخلاص في هذه الحروب وكان يُنظر إلى هذا الاخلاص والتفاني على أنه تعبير عن الإيمان.

- الإعلان العام:

لم تكن حروب العهد القديم على حين غرة ، بل كان النبي أو الملك يعلن عن الحرب إعلانًا عامًا.

- السلام هو الهدف النهائي للحرب:

ما لم يكن الإبادة بتوجيه إلهي، جاء إعلان الحرب بعرض السلام المؤقت. فإذا قبل العدو العرض تم إنقاذه وإخضاعه لإرادة إسرائيل وساد السلام. وإذا لم يقبل العدو، كانت المدينة محاصرة. بالإضافة إلى التعليمات المتعلقة بقانون الحرب والتي تأمر بالنظافة والحشمة من جانب الجنود، وتحديد محظورات ضد التدمير العشوائي للبيئة، ووضع القواعد السخية للإعفاء من الخدمة العسكرية. ويبدو كذلك أنه يقتبس مباشرة هنا من سفر التثنية المصدر الرئيسي لوثيقة شريعة الحرب في العهد القديم: (مَنْ هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي غَرَسَ كَرْمًا وَلَمْ يَبْتَكِرْهُ؟ لِيَذْهَبْ وَيَرْجِعْ إِلَى بَيْتِهِ لِئَلاَّ يَمُوتَ فِي الْحَرْبِ فَيَبْتَكِرَهُ رَجُلٌ آخَرُ. وَمَنْ هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي خَطَبَ امْرَأَةً وَلَمْ يَأْخُذْهَا؟ لِيَذْهَبْ وَيَرْجِعْ إِلَى بَيْتِهِ لِئَلاَّ يَمُوتَ فِي الْحَرْبِ فَيَأْخُذَهَا رَجُلٌ آخَرُ.. حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ، فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ... إِذَا حَاصَرْتَ مَدِينَةً أَيَّامًا كَثِيرَةً مُحَارِبًا إِيَّاهَا لِتَأْخُذَهَا، فَلاَ تُتْلِفْ شَجَرَهَا بِوَضْعِ فَأْسٍ عَلَيْهِ. إِنَّكَ مِنْهُ تَأْكُلُ.

[1]- John M. Mattox: **Saint Augustine and the Theory of Just War**, London and New York: Continuum, 2006, P. 140.

فَلاَ تَقْطَعْهُ. لأَنَّهُ هَلْ شَجَرَةُ الْحَقْلِ إِنْسَانٌ حَتَّى يَذْهَبَ قُدَّامَكَ فِي الْحِصَارِ؟) (التثنية، ٢٠: ٦-١٩).

لكن أمبرواز أيضًا تحدث عن: قانون الحرب، وفي السبب العادل يذكر أنه بالانتقال إلى الملك داود كنموذج، يلاحظ أمبرواز أن داود لم يشن أبدًا الحرب إلا إذا كان مدفوعًا إليها ومثال ذلك لقائه مع جليات الفلسطيني الجبار (جالوت في القرآن الكريم [١]) الذي قال"أنا عيّرت صفوف إسرائيل، اعطوني رجلًا فنتحارب" (١صم ١٧: ١٠)، هو لم يدخل قط في حرب دون طلب مشورة الرب:"الرب الذي أنقذني من يد الأسد هو ينقذني من يد هذا الفلسطيني" (١صم ١٧: ٣٧)، ونتيجة لذلك يقول أمبرواز في توسلاته، "انتصر داود في جميع الحروب، وحتى في سنواته الأخيرة كان مستعدًا للقتال"[٢].

فتذكر القصة التي وردت في سفر صموئيل على سبيل المثال في الآيات (١ صم ١:-١٤):- بأن داوود لم يكن يسعي للحرب ولا يحبها بل كان الأعداء يسعون وراءه ويريدون الانتقام منه لا لشيء سوى تحقيقًا لرغبات الشر الداخلية بنفوسهم المريضة بالقسوة "فَأَخْبَرُوا دَاوُدَ قَائِلِينَ: «هُوَذَا الْفِلِسْطِينِيُّونَ يُحَارِبُونَ قَعِيلَةَ وَيَنْهَبُونَ الْبَيَادِرَ». فَسَأَلَ دَاوُدُ مِنَ الرَّبِّ قَائِلًا: «أَأَذْهَبُ وَأَضْرِبُ هؤُلاَءِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ؟» فَقَالَ الرَّبُّ لِدَاوُدَ: «اذْهَبْ وَاضْرِبِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَخَلِّصْ قَعِيلَةَ». فَقَالَ رِجَالُ دَاوُدَ لَهُ: «هَا نَحْنُ ههُنَا فِي يَهُوذَا خَائِفُونَ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ إِذَا ذَهَبْنَا إِلَى قَعِيلَةَ ضِدَّ صُفُوفِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ؟» فَعَادَ أَيْضًا دَاوُدُ وَسَأَلَ مِنَ الرَّبِّ، فَأَجَابَهُ الرَّبُّ وَقَالَ: «قُمِ انْزِلْ إِلَى قَعِيلَةَ، فَإِنِّي أَدْفَعُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ لِيَدِكَ».

لم يذهب داوود للحرب هنا إلا بأمر إلهي بعد أن تأكد من خطتهم للهجوم عليه، "فَذَهَبَ دَاوُدُ وَرِجَالُهُ إِلَى قَعِيلَةَ، وَحَارَبَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، وَخَلَّصَ سُكَّانَ قَعِيلَةَ". وهناك مرة ثانية يشن فيها شاول الحرب ضد داود بدون سبب ورغم هروب داود من وجهه إلا أن الشر الذي بقلب شاول مازال يسعي للانتقام، فنجد في النص: "وَدَعَا شَاوُلُ جَمِيعَ الشَّعْبِ لِلْحَرْبِ لِلنُّزُولِ إِلَى قَعِيلَةَ لِمُحَاصَرَةِ دَاوُدَ وَرِجَالِهِ. فَلَمَّا عَرَفَ دَاوُدُ أَنَّ شَاوُلَ مُنْشِئٌ عَلَيْهِ الشَّرَّ، قَالَ لأَبِيَاثَارَ الْكَاهِنِ قَدِّمِ الأَفُودَ. ثُمَّ قَالَ دَاوُدُ: «يَا رَبُّ إِلهَ إِسْرَائِيلَ، إِنَّ عَبْدَكَ قَدْ سَمِعَ بِأَنَّ شَاوُلَ يُحَاوِلُ أَنْ يَأْتِيَ إِلَى قَعِيلَةَ لِكَيْ يُخْرِبَ الْمَدِينَةَ بِسَبَبِي. فَهَلْ يُسَلِّمُنِي أَهْلُ قَعِيلَةَ لِيَدِهِ؟ هَلْ يَنْزِلُ شَاوُلُ كَمَا سَمِعَ عَبْدُكَ؟ يَا رَبُّ إِلهَ إِسْرَائِيلَ، أَخْبِرْ عَبْدَكَ». فَقَالَ الرَّبُّ: «يَنْزِلُ». فَقَالَ دَاوُدُ: «هَلْ يُسَلِّمُنِي أَهْلُ قَعِيلَةَ مَعَ رِجَالِي لِيَدِ شَاوُلَ؟» فَقَالَ الرَّبُّ: «يُسَلِّمُونَ».

---

[١] " "وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ" سورة البقرة، الآيتان: ٢٥٠-٢٥١.

[2]- John M. Mattox, op. cit., P. 19.

وعلي الرغم من ذلك لم يقاوم داود الشر بالشر، بل فضل الهرب من وجه الشر، ولم يحارب شاول وجيشه كما جاء بالنص" فَقَامَ دَاوُدُ وَرِجَالُهُ، وَخَرَجُوا مِنْ قَعِيلَةَ وَذَهَبُوا حَيْثُمَا ذَهَبُوا. فَأُخْبِرَ شَاوُلُ بِأَنَّ دَاوُدَ قَدْ أَفْلَتَ مِنْ قَعِيلَةَ، فَعَدَلَ عَنِ الْخُرُوجِ".

هكذا فضل داود العيش هاربًا ومهددًا بالخطر مفضلًا ألا يحارب إلا في أضيق الحدود وإذا اضطرته الظروف،"وَأَقَامَ دَاوُدُ فِي الْبَرِّيَّةِ فِي الْحُصُونِ وَمَكَثَ فِي الْجَبَلِ فِي بَرِّيَّةِ زِيفٍ. وَكَانَ شَاوُلُ يَطْلُبُهُ كُلَّ الأَيَّامِ". "[1]

وفي نصوص أمبرواز يجد المرء تعبيرًا عن المشاعر التقليدية التي يتعرف عليها، وكان يُميّز بين الرومان وغير الرومان في الشجاعة، وفي الحروب التي تحفظ وطنه من البرابرة، أو من يدافع عن الضعيف. فهذا مليء بالعدالة' ويبدو أن الادعاء الضمني الأكبر هو أن الحروب التي خاضها الرومان ضد البرابرة عادلة، أما الحرب التي بدأها البرابرة فهي غير عادلة[2].

ثانيًا: فكرة الحرب العادلة في العهد الجديد:

يتصور البعض أن هناك بعض الآيات في العهد الجديد تنص على تحبيذ الحرب وتمجيد شنها على خلاف مبدأ المسالمة المشهور عن المسيحية ونصت عليه موعظة الجبل السابق الحديث عنها على سبيل المثال ما ورد في :

١. **في يوحنا (٢: ١٥)**، حيث استخدم المسيح سوطًا من الحبال لتطهير الهيكل وربما يتغاضى عن العنف لإحداث تغيير اجتماعي.

٢. **وفي لوقا (٣:١٤)**،لا يدين يوحنا المعمدان الجنود بسبب مهنتهم، ولكنه يأمرهم بعدم ممارسة العنف تجاه أي شخص، والامتناع عن الاتهامات الباطلة والرضا بأجورهم.

٣. **وقال يسوع في لوقا (٢٢: ٣٦)** أنه من ليس لديه سيف يجب أن يبيع ثوبه ليشتري واحدًا[3].

ويشير د. نصار عبد الله في دراسته عن (الحرب العادلة) إلى وجود بذور لأفكار العنف في العقيدة المسيحية، فيقول: فإذا ما انتقلنا بعد ذلك إلى العقيدة المسيحية وجدنا أنها رغم أن الطابع الغالب على تعاليمها هو طابع المسالمة إلا أنها لا تخلو مع ذلك من بذور لفكرة الحرب العادلة في عدة مواضع أبرزها ما ورد في

[1]- تفسير كتاب مقدس، عهد قديم، سفر صموئيل الأول، اصحاح ٢٣، موقع تكلا هيمانوت.

[2]- John M. Mattox, op. cit., P. 19.

[3]- Keith J. Gomes: **An Intellectual Genealogy of the Just War…**, op. cit., P. 4.

العهد الجديد من أن: «**لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا بَلْ سَيْفًا." (متى ١٠: ٣٤)**[١].

لكن وفيما يبدو لي فإن هذا الفهم السابق يمثل تفسيرًا حرفيًا لمعني هذه الآيات، وربما هذا يرجع إلى الأخذ بظاهر النص دون الرجوع إلى تفسير الآباء للكتاب المقدس، ففي الحقيقة لا يوجد أي تناقض بين نصوص وآيات الكتاب المقدس، ولا يوجد تناقض بين ما نصت عليه موعظة الجبل من مبدأ المهادنة والمسالمة المطلقة وبين هذه المواضع، حيث أنه في **الآية الأولى: يوحنا (٢: ١٥)** وجد السيد المسيح سوقًا في إحدى مباني الهيكل استخدمه رؤساء الكهنة من أجل الربح المادي، وهكذا أفسدت محبة المال نقاوة العبادة، فذكر القديس "أمبرواز" أنه كان يلزم نزع هذه الأمور البهيمية والتجارية عن هذا الهيكل فلا يكون بيت تجارة. ويعلق **العلامة أوريجينوس** بأنه يبدو أنه لم يطرد الباعة ولا الصيارفة إنما طرد البقر والغنم والحمام، فكان لابد من استخدام سوط لإحداث صوت يتم به إزعاج وطرد الحيوانات، لم يأت ليدين بل ليُطهر المكان ويُصلح الفساد[٢].

أما عن الآية الثانية: وفي لوقا (١٤:٣) يرد يوحنا هنا بإجابة واحدة تناسب كل عمل بشري ويركز على الرحمة التي هي فضيلة عامة ومبدأ أساسي يجب أن يعمل به في كل مكان فلا يستثني منه فريسي ولا جندي ولا فلاح. فهو لم يطلب منهم الاستقالة من مهنتهم كجنود، بل يطلب سلوكًا عادلًا وصادقًا في أداء مهامهم[٣]، وألا يسيئوا استخدامهم للقوة في أهدافهم في فرض مالم يكن حقًا بالقوة لهم[٤].

والآية الثالثة: لوقا (٢٢: ٣٦)،يقول العلامة أوريجينوس كان المسيح يقصد هنا الحروب الروحية ضد الشيطان.[٥] كما ذكر القديس أمبرواز أن هذا السيف الذي طلب السيد من تلاميذه أن يقتنوه هو "كلمة الله" التي تحسب كسيف ذي حدين، وإلا فكيف يأمرهم باقتناء ما منع أحدهم عن إخراجه من غمده حتى ولو للدفاع عن النفس؛ وفي تفسير آخر يقال ان هذين السيفين رمز للعهدين القديم والجديد اللذين بهما نتسلح ضد مكائد إبليس، وإن كان هناك سيفان لعلهما سكينين كبيرين كانا مع بطرس ويوحنا استخدمتا في اعداد الفصح. ويقول الأب

---

[١]-نصار عبدالله، مرجع سابق، ص. ١٣٩-١٤٠.

[٢]- القمص تادرس يعقوب: تفسير الكتاب المقدس، انجيل يوحنا، الإصحاح الثاني، موقع تكلا هيمانوت

[3]-William D. Barrick: **The Christian and War**, *TMSJ*, Vol. 11, No. 2 (Fall 2000), P. 227.

[4]- David R. Plaster: **The Christian and War Amateur of Personal Conscience**, *Grace Theological Journal*,Vol. 6, No. 2, 1985, P. 449.

[5]- Keith J. Gomes: **An Intellectual Genealogy of the Just War…**, op. cit., P. 4.

ثيوفلاكتيوس وجود سيفين في أيدي أثني عشر صيادًا لا يساويان شيئًا أمام جماهير اليهود وجنود الرومان القادمين للقبض عليه وقتها، وهم بلا خبرة في فنون القتال واستخدام السيوف، لهذا يرى البعض أن كلمة السيد المسيح "يكفي" إنما ترجمة للكلمة العبرية "دَييّر" التي كان معلمو اليهود يستخدمونها ليسكتوا بها جهالة بعض تلاميذهم. وكأن السيد المسيح أراد أن يسكت تلاميذه الذين انصرفت أفكارهم إلى السيف المادي لا سيف الروح وإن قصد يسوع بقوله شراء سيف- وهذا مستبعد كما ذكرنا- بالتأكيد لا يمكن تفسير هذا على أنه يعني أنه يؤيد الحرب[1].

أما الآية الرابعة والأخيرة، والتي وردت في اصحاح كامل يدعو المسيح فيه تلاميذه عن السلام وعن الوداعة ومحبة الاخرين وشفاء الأمراض واخراج الشياطين. فهو لا يتكلم عن أنه جاء يدعو للحرب ولكن هو يتكلم عن الاضطهاد الذي سيتعرض له المسيحيون بسبب إيمانهم. والمسيح في هذا التعبير يعرف جيدًا أنه بإرساله لتلاميذه هذا سيثير الشيطان وأعوانه من البشر الأشرار ليثيروا حربًا على الكنيسة وعلي المسيحيين لرفض البعض لبشارة المسيح بالدين الجديد فيصل لدرجة أن الأب غير المؤمن يُسلم ابنه المسيحي للموت وتستشهد الابنة بسبب كنتها التي تُبلّغ عنها أنها مسيحية، فهو يتكلم عن الاضطهاد وهو ما يسميه نار الانقسام.

مما سبق يتبين لنا عدم وجود تناقضات في نصوص الكتاب المقدس بالنسبة لمسألة استخدام العنف، هذا إذا ما وقفنا على السياق الذي وردت فيه الآيات ولم نتشبث بالمعنى الحرفي للكلمات والمفردات، فأحاديث السيد المسيح واضحة حيث أنه يتكلم عن اضطهاد كنيسته.

وأيضا لوقا البشير شرح المقصود في بقية الكلام بتوضيح أنه غير المؤمنين في البيت ينقلبوا على الذي قَبِل الإيمان حتى يصل لدرجة أنهم يقتلوه لأنه قبل الإيمان بالمسيح. وملخص المعني بالفعل أن المسيح يعلن أنه سيكون هناك اضطهاد وانقسام بسبب الايمان. ونص الآية هو: ("أَتَظُنُّونَ أَنِّي جِئْتُ لأُعْطِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ؟ كَلاَّ، أَقُولُ لَكُمْ: بَلِ انْقِسَامًا. لأَنَّهُ يَكُونُ مِنَ الآنَ خَمْسَةٌ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ مُنْقَسِمِينَ: ثَلاَثَةٌ عَلَى اثْنَيْنِ، وَاثْنَانِ عَلَى ثَلاَثَةٍ" (لوقا ١٢: ٥١-٥٢). وكما ورد في متى (لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا بَلْ سَيْفًا. فَإِنِّي جِئْتُ لأُفَرِّقَ الإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ، وَالابْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا، وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا. وَأَعْدَاءُ الإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ) (متى ١٠: ٣٤).

فلم يكن الانقسام صادرًا من السيد المسيح، بل كان صادرًا من رفض الوثنية للإيمان الذي نادى به المسيح. وهكذا أنذر السيد المسيح تلاميذه، بأن انقسامًا لابد سيحدث. وأنهم في حملهم لرسالته، لا يدعوهم إلى الرفاهية، بل إلى الصدام مع

[1]- القمص تادرس يعقوب: تفسير الكتاب المقدس، انجيل لوقا الإصحاح الثاني، موقع تكلا هيمانوت

الانقسام. لذلك قال لهم: (فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ) (يو١٦: ٣٣). وأيضًا: (تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَظُنُّ كُلُّ مَنْ يَقْتُلُكُمْ أَنَّهُ يُقَدِّمُ خِدْمَةً للهِ) (يو١٦: ٢).

لقد تم محاربة المسيحية بالسيف من قبل العديد من أباطرة الرومان وملكوها، فلم يكن السيف منها وإنما عليها، وقد ظهر ذلك جليًا في عصور الاستشهاد، حيث كان البعض يقدم أولاده أو أحدًا من أفراد أسرته وأهل بيته إلى الاستشهاد بسبب إيمانه بالمسيحية، وكانت نتيجة السيف الذي تحمله المسيحيون، ونتيجة انقسام الوثنيين واليهود عليهم، مجموعة ضخمة من الشهداء.

ومما يدل على عدم التناقض هو رفض المسيح لاستخدام العنف في مواضع أخرى بصورة مباشرة، فعندما رفع بطرس سيفه ليدافع عن المسيح وقت القبض عليه، نهره ومنعه قائلًا: "رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِه لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ"! (متى٢٦: ٥٢).

ومعني هذا أن المسيح لم يقل أنه جاء ليرفع السيف أو ليُشهر السيف بل قال يلقي السيف ويطرحه بعيدًا. أما من يزعم بأن السيف في المسيحية يُشير إلى الحرب أو تبرير العنف، فإنما يجانب الصواب- في رأيي- ومما يؤكد على ذلك قراءة الإصحاح العاشر كاملًا من إنجيل متي، حيث لا يوجد حديث عن الحرب وحمل السيف أو السلاح. فالمسيحية تقول بالسلام وتؤكد على قِيَم المحبة والوداعة وشفاء الأمراض وإخراج الشياطين. والمسيح نفسه ضد حمل السيف تمامًا. ولنا أن ننظر إلى الرسالة إلى أهل رومية (١٢: ٢): (لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ). وفي إنجيل يوحنا: (سَلاَمًا أَتْرُكُ لَكُمْ) (١٤: ٢٧). وبالطبع هو يعلن أنه ملك السلام وإله السلام لا الحرب. وفي إنجيل يوحنا: (لِيَكُونَ لَكُمْ فِيَّ سَلاَمٌ) (١٦: ٣٣).

لكن مع ذلك ظهرت بعض الاجتهادات في فترات تاريخية مختلفة قدمها القديس أوغسطين وتوما الأكويني وريمون لول وغيرهم من فلاسفة المسيحيين، وهي اجتهادات أجازت اللجوء إلى الحرب دفاعًا عن الكنيسة ومقدساتها من جهة، وتحريرًا للأراضي المقدسة من المحتلين المغتصبين من جهة ثانية كما حدث في الحملات الصليبية على الشرق، بل وارغامًا للطوائف غير المسيحية للدخول فيها كما فعل لول في دعوته من جهة ثالثة. فمثلًا نجد أن أوغسطين يذكر في خطابه عن الحرب العادلة في العهد الجديد أنه في حين أن العهد القديم يقدم رمزًا متطورًا للغاية للحرب والعديد من الروايات التاريخية عن المعارك والتي تُعَدُّ بمثابة دراسات حالة مفيدة عن كيفية تطبيق قانون الحرب بالفعل، لا يحتوي العهد الجديد على أي قانون حرب ولا رواية تاريخية واحدة للمعركة، ولما لا يكون هناك احترام لمطالب الدولة في أي شيء تتطلبه، طالما أن الطلب لا يتعارض بشكل مباشر مع بعض الأشياء التي لا جدال فيها مع المبدأ المسيحي (مثل الأمر بعدم أكل لحوم ذبائح الأوثان). وتقدمة الجزية لقيصر لأن خدام الله حاضرون دائمًا، فيصبح هذا المقطع حاسمًا بالنسبة لأوغسطين لأنه "لما كان العدل من الوحي الإلهي فإنه يمكن ربط الحرب

بالسلطة الحاكمة من الله، ونتيجة لذلك يمكن للحكام أن يشنوا حروبًا للدفاع عن البر حتى بدون أمر إلهي صريح. "تحتوي تعاليم يسوع على أن المسيحيين لا يكتفون بالامتثال لمقتضيات الناموس الحرفي بل أيضًا فحص دقيق للدوافع والنوايا الداخلية للقلب. وكان أوغسطين ملتزمًا تمامًا بالموقف المسيحي القائل بأن الفعل الصالح فقط هو الذي يولد من النوايا السليمة وليس فقط معرفة ما يشكل إجراءات صحيحة. ومن هنا فإن المعرفة عند أوغسطين ليست العنصر الأساسي الوحيد لبلوغ الفضيلة، ولا الأساس الذي تقوم عليه الفضيلة كما هي عند سقراط. ما هو الشيء الأساسي إذن بالنسبة لأوغسطين؟ إنها وصية المحبة كما يراها تُدَرّس في العهد الجديد. ومن ثم يقول: "تمسك بالحب، ليسترح عقلك. لماذا تخاف ألا تفعل الشر لإنسان تحبه، من المستحيل أن تفعل هذا دون قصدك فعل الخير"[1].

ومن النقاط المهمة التي يتوجب علينا الإشارة إليها هنا، ما ذكره د. حمدي الشريف في إحدى دراساته، حيث يكشف عن أن أساس التمييز بين "العدو السياسي" و"العدو الشخصي" موجود في اللغتين اليونانية واللاتينية، ولكنه ليس موجودًا في اللغة الألمانية وبقية اللغات الأخرى، وقد نتج عن هذا الغياب بعض الدلالات الزائفة؛ حيث تُقِيمُ اللغتان اليونانية واللاتينية تمييزًا واضحًا بين مصطلحين:

(١) **"العدو السياسي" (hostis)** **πολέμου** (التنظيم الجماعي الذي تدخل الدولة معه في حرب أو مواجهة عنيفة).

(٢) **"الخَصْم الشخصي" (inimicus)** **εχθρός** (الشخص أو الزميل الذي نكرهه ونمقُته)[٢].

وفي ضوء هذا يمضي د. حمدي الشريف فيُبيِّن أن النصّ الشهير الذي ورد في الكتاب المقدس، والذي يأمر المسيحيين بحب أعدائهم: **"أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ"** [متى ٥: ٤٤، ولوقا ٦: ٢٧]، ينبغي أن يُقرأ باليونانية على هذا النحو: **Αγαπάτε τούς εχθρούς ὑμῶν** ، وباللاتينية: "**Diligite inimicos vestros**" ("**أَحِبُّوا خصومكم الشخصيين**")، ولا ينبغي أن يُقرأ على نحو: "**Diligite hostes vestros**" ؛ أي "**أَحِبُّوا أعداءكم الحربيين**". فليس هناك ذِكرٌ للعدو السياسي في هذا النصّ، وفي مجال الحياة الخاصة فحسب يمكن للمسيحي أن يتَّبع أوامر الإنجيل ونواهيه، فيحب خُصُومه. ويُدلِّل على هذا المعنى المحدَّد للعدو من الناحية التاريخية، بالصراع المرير الذي استمر قرابة ألف سنة بين المسيحيين

[1]- John M. Mattox: **Saint Augustine and the Theory of Just War**, op. cit., PP.130-133.

[٢]- حمدي الشريف: **نظرية الصَديق والعَدُوّ عند كارل شميت**، مجلة ديوجين "المجلة العلمية لقسم الفلسفة" (دورية علمية محكمة)، جامعة القاهرة، كلية الآداب، المجلد الرابع، العدد الأول، يناير ٢٠١٧، ص. ١٠٢-١٠٣.

الأوروبيين والمسلمين الأتراك. فعلى مدار هذه القرون الطويلة من الحرب بين "الأمتين" وبعض شعوبهما ودولهما، لم يَدُر في خَلَدِ مسيحيٍّ واحدٍ أنه سيُحبّ العرب والمسلمين المحاربين، من منطلق أن الإنجيل أمره بحب أعدائه، رغم أن المحبة هي الركن الأول في الاعتقاد المسيحي. ومن هنا فإن هذا النصّ لا يدعو المسيحيين إلى أن يحبوا أعداء أمتهم، أو أن يقفوا بجانبهم؛ لأنه موجه أساسًا إلى المسيحيين المتخاصمين أو المتنازعين على المستوى الشخصي[١].

خاتمة

مما سبق نخلص إلى أنه لا دعوة للعنف ولا للحرب في العهد القديم، وأنه لا تعارض بين العهدين، العهد القديم والعهد الجديد، فالعهد القديم هو بمثابة مقدمة منطقية وتاريخية للجديد، والعهد الجديد تحقيقًا لنبوات العهد القديم. إن الأصل في الدين المسيحي – وغيره من الأديان السماوية – هو السلام والأمن والأمان والمحبة لكل البشر، "«الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ»." (لو ٢: ١٤). إنه الأصل الذي لا ينبغي الخروج عليه إلا لموجب شرعي وبضوابط شديدة التضييق، ويكون الاستناد إلى هذا الموجب الشرعي هو الذي يجعل هذه الحرب مشروعة وعادلة.

ومما لا شك فيه أن التشابه الكبير لأسباب ومبادئ بل وتفاصيل الحروب في الكتاب المقدس تتشابه إلى حد كبير مع ما نطلق عليه اليوم بالحرب العادلة، بل لا نلوم الفلاسفة أو غيرهم ممن يتخذون أمثلة من الكتاب المقدس ليطبقوا عليها مبادئ الحرب العادلة، وهذا يذكرني بمثل بسيط هو: العدد سبعة في الرياضيات، فأنا أراه من جهتي سبعة، ولكن يقرأه الشخص المقابل لي أنه العدد ثمانية، ولا العيب فيّ ولا في هذا الشخص المقابل، ولا حتى في العدد نفسه الذي لم يتغير في كلا الحالتين، لكن الأساس هنا يكمن في اختلاف وجهات النظر التي تختلف باختلاف زاوية الرؤية، وتفسيرها أو تأويلها، وهذا الاختلاف هو ما يظهر إبداع كل منا في خلق أفكار جديدة تتطور فيها بعد لتُكَوّن مفاهيم، ثم تتطور أكثر لتصبح نظريات.

وهكذا لا يوجد مصدر ديني ينص على أي نوع من الحروب أو العنف في العهد الجديد، وأن هناك بعض الآيات التي قد يتم أخذها من سياق النص، وبالتالي يتم تحريف معناها الأصلي، وقد أوضحنا بعض أمثلة لتلك الآيات بالتفسير. والآن ماذا عن المصادر الفلسفية للحرب العادلة

[١]- المرجع السابق، ص. ١٠٣.

قائمة المصادر والمراجع

1. Charles H. Whittier: **The Just War in Certain Religious Tradition: Christianity, Judaism, Islam, And Buddhism**, Congressional Research Service, Library of Congress, 1987.
2. Joseph J. Fahey: "**An Overview of Four Traditions on War and Peace in Christian History**", *The Journal of Social Encounters*, Vol. 2, No. 1, 2018.
3. John Langan: "**The Elements of St Augustine's Just War Theory**", *Journal of Religious Ethics*, Vol. 12, No. 1, 1984.
4. John M. Mattox: **Saint Augustine and the Theory of Just War**, London and New York: Continuum, 2006.
5. Keith J. Gomes: **An Intellectual Genealogy of the Just War, A Survey of Christian Political Thought on the Justification of Warfare**, **Small Wars Journal**, available at: www.smallwarsjournal.com
6. Malene H. Kjaer :**The Condition For Just War According to St. Thomas Aquinas**, Academia, April 10, 2016.
7. William D. Barrick: **The Christian and War**, *TMSJ*, Vol. 11, No. 2 (Fall 2000).
8. David R. Plaster: **The Christian and War Amateur of Personal Conscience**, *Grace Theological Journal*,Vol. 6, No. 2, 1985.

٩. أوغسطين: **مدينة الله**، المجلد الأول، ترجمة: الخور أسقف يوحنا الحلو، سلسلة التراث الروحي، دار المشرق، بيروت، ط.٢، ٢٠٠٦.

١٠. حمدي الشريف: **نظرية الصَديق والعَدُوّ عند كارل شميت**، مجلة ديوجين "المجلة العلمية لقسم الفلسفة" (دورية علمية محكمة)، جامعة القاهرة، كلية الآداب، المجلد الرابع، العدد الأول، يناير ٢٠١٧.

١١. عزت شاكر: **إله العهد القديم إله الدماء**، دار الثقافة، القاهرة، ٢٠١٢.

١٢. منقذ بن محمود السقار: **هل العهد القديم كلمة الله؟**، دار الإسلام للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧.